المحاضرة السابعة: الكلمة دراسة صوتية وصرفية

إنّ رباعية الصوت والصرف والنحو، والمعجم هي الأسس الي تقوم عليها الدراسة اللغوية برمّتها، وإذا كان الهدف هو المفردة، فلابدّ من النظر في هذه القضايا.

ـأ الدراسات العربية والاهتمام بالصوت

أمّا عن الأسباب اللّسانية التي اتّصفت بها المفردة العربية، فقد ذهب العلماء إلى توضيح الصورة بالقول: "كأنّهم جَرَوا في اللّغة على ناموس اقتصادي، وهو نهاية ما تبلغه القرائح من الكمال في أوضاع اللّغات؛ هذا إلى ما انفردت به العربية من استقامة الصوت ووضوحه؛ لأنّه مادّة الحرف وصلاح كلّ شيء من مادّته" لذلك بدأت الدراسات العربية بتحديد الأصوات بدقة متناهية، حيث بنى الخليل معجمه على الحروف ووفق نظام المخارج

العين:

أمّا سيبويه فحدّدها بتسعة وعشرين حرفا تقوم عليها العربية برمّتها فقال: "فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا: الهمزة، والألف، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، والكاف، والقاف، والضاد، والجيم، والشين، والياء، واللام، والراء، والنون، والطاء، والدال، والتاء، والصاد، والزاي، والسين، والظاء، والذال، والثاء، والفاء، والباء، والميم، والواو"

ـ ب توظيف جهاز النّطق

يرتبط نظام النّطق في اللّغات جميعها بمنطق ثابت، هو منطق الاقتصاد في الجهد والاختصار في الصّيغ، وهو قانون عملت به اللّغات المتطوّرة جميعها، إذ لوحظ أنّ الميل العام في تطوّر اللّغات، هو الاتّجاه نحو تيسير الأصوات، وتيسير النّطق بها ، أو ما يعرف **بقانون الجهد الأقلّ**، وقد مالت إليه العربية لذات الغرض، لكنّه بالعربية أشدّ ارتباطا وأكثر شيوعا.

اعتنى العرب بمنطق لغتهم وأعطوه بالغ الاهتمام من خلال العدول عن الثّقل إلى الخفّة، وتبيّن أنّ كلّ ما رفض من الكلام ، أو ابتعدت عنه العربية جنوحا إلي غيره من كلمات فإنّما تجنّبوه استثقالا ، وكلّ ما قبلوه أوعدلوا إليه ، وجرى على ألسنتهم فلخفّته في الاستعمال ، وكثير من قضايا العربية بنيت على منطق حسابيّ دقيق يقضي بأن تؤدّي العربية آداء جيّدا ، وملمح الخفّة والثّقل تحديدا أخذت منه العربية بحظ وافر، فكان ذلك عامل تطوّرونمو داخليّ ، حيث عملت هذه السّمة على استقلالية وكمال بناء العربية لأنّها لجأت " لاستعمال القوى الكامنة في اللّغة نفسها ، وإعطائها الحياة والنّمو من باطنها لا تهيئة هذا الكمال بما تتناول من قوى غيرها." وهوما يحقق الاستقلال اللّغوي ، لأنّ " اللّغة تتطوّر نتيجة ميل المتكلّمين بها إلى ترك ما يستثقل من الكلام إلى ما هو أخفّ منه ."

فجهاز النّطق قسمة عادلة بين البشر، والبشركلّهم متساوون في قسماته وتركيبه، لكنّ العلامة الفارقة هي توظيف الجهاز "والاستخدام هو ما يحدث الفرق بين اللّغات البشرية. "ولغةالعرب تامة الحروف " لم ينقص منها شيء فيشينها النّقصان، ولم يزد فيها شيء فيعيبها الزّيادة." ولهذه الحروف مخارج محدّدة ، معقولة ، وأحياز مختلفة ، ومدارج بعضها فوق بعض ، تدرّج بها ناطق العربية تدرجا ثابتا متوازنا .

" فالحاء والخاء والعين والغين والهاء والألف والهمزة حيّزها **الحلق** ،

والقاف والكاف حيّزها **اللهاة** ،
والجيم والضاد والشين حيّزها **شجر الفم** ،
والصاد و السين والزّاي حيّزها **أسلة اللّسان** إلى **أطراف الثّنايا** ،
والطاء والدال والتاء حيّزها **الحنك** بتطبيق اللسان إلى **أطراف الثنايا** ،
والظّاء والذال والثاء حيّزها **اللثة** ،
والرّاء واللام والنون حيّزها **ذلق اللسان** إلى **الشّفتين**،
والفاء والباء والميم حيّزها **الشّفة** ،
والألف والياء والواو هوائية ليس لها جروس ، ولا اصطكاك لأنّها تنسل من **جوف الحنك** ."
كما يلاحظ أنّ مخارج الحروف ، موزّعة على كلّ مواضع النطق ، باعتدال ممّا يعطي الرّاحة لمستعمل اللغة ، وقد بنيت عليها العربية بناءا كليّا ، فلا تنقص ولا تزيد ، وتؤدي في العربية آداءًا كاملا ، بينما تحتاج اللغات الأخرى للزيادة عليها في حروف لغاتها ، كي تؤدي آداء العربية، وهم يلجأون للتقريب بين تلك المخارج والأحياز كي يتم النطق ، فتقلب الحاء هاءًا فيقال "مهمد" في محمد ، وتقلب العين ألفا فيقال" ألي " في علي، وتقلب الغين واوا فيقال "ولام" في غلام ، وتقلب القاف كافا فيقال للقمر "كمر" ، وتقلب الطاء تاءا فيقال في الطاووس "تاووس " وقلبوا الظاء والضاد دالا فقالوا في ضربه وظلمه "دربه "و "دلمه . "
أمّا في العربية فقد أخذت الحروف مسالك لينة ، وانضوت جميع مخارجها في مناطق ثابتة ومدارج متوازية ، وأحياز متناسقة شغّلت كلّ جهازالنطق ، باعتدال وتوازن وتوازٍ، وقد جاءت " أصوات هذه اللّغة موزّعة على مدارج النّطق توزيعا واسعا شاملا لكلّ نقاطه ومواضعه ."

ـ **علم القراءات القرآنية**. هو مظهر جلي وشاهد حيّ بل، ومحرّك قويُ من محرّكات البحث الصوتيّ في العربية، اعتنى العرب بالأصوات مخرجا وأداء ووصفا للكلام والمتكلّم وتتبّعوا كيفية النطق بتتبّع المخارج بدقّة متناهية،

وقف متقدّمو النّحاة على ظواهر كثيرة كالإعلال والإبدال والإدغام والقلب والحذف والإمالة ما يعرف عن العربية هو الاهتمام بالحركات التي هي أقل من الحروف ، وبسبب الثقل الذي يعتريها أثناء النطق ، يقومون بإضعاف الحركة ، بمعنى إذا كانت الحركة فتحة ذهبوا بها بين الضمة والكسرة ولا تظهر ظهورا واضحا فتكون مترددة بين الأمرين وليس هذا إلاّ دليلا على عنايتهم بالخفّة واجتناب الثقل لقوة نظرهم ولطف حسّهم .
طلب الخفّة بالعدول والميل ولوقليلا عن أصل الوضع
الإدغام نجد أنّ من معانيه اللّغويّة إدخال الشّيء في الشّيء وهو نوع من " التّكييف الصّوتي الذي يؤدّي إلى تلاشي الحركة الواقعة بين صامتين متماثلين
أمّا في الاصطلاح فهو " أن تأتي بحرفين ساكن فمتحرّك من مخرج واحد من غير فصل بينهما على أن يصيرا حرفا واحدا مغايرا لهما بهيأته وهو الحرف المشدّد .
ـ مثال إدغام
ففي قوله تعالى: (**يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ**)(النساء78) هومن نوع إدغام المتماثلين في كلمة واحدة تقرأ "يدركُمُ الموت "حيث أدخل السّاكن الأوّل في المتّحرك الثّاني وصارا حرفا واحدا ".مغايرا

لهما بهيأته ،وهو الحرف المشدّد وزمانه أطول من زمان الحرف الواحد المخفّف، وأقصر من زمان الحرفين المخفّفين ." الزّمن يلعب دوره في تحديد قيمة الظّواهر الصّوتية فندرك أنّ زمن تلفّظ الكاف المدغمة أقصر من زمن الحرفين معا ساكن ثم متحرّك .